

الفصل الخامس عشر

البغاء والقط

– أعوذ بالله من الستات ... إنهن لا يرحمن ولا يتركن رحمة الله تنزل.

قلت: «لماذا؟ ماذا يسخطك على الجنس اللطيف»؟

فاعتدل على كرسيه وحدق في وجهي، وقال — أو صاح على الأصح: «لطيف؟ أتقول لطيف..؟ أيكون جنسا لطيفا ذاك الذي يلبس هذه الثياب الخفيفة في البرد ويبدو فيها مكشوف الذراعين إلى ما فوق المرفق؟ إننا نحن الجنس اللطيف لو عقل الناس». قلت: «يا سيدى.. ثم ماذا أيضا؟» قال — غير عابئ بتهكمي: «ثم إنه ليس لطيفا في الحقيقة».

قلت: «هذه ملاحظة سمعناها فهي مكررة.. فإما قلت شيئا جديدا، وإلا فاسكت». قال: «أنا أعنى أنه جنس غير لطيف المعاشرة».

قلت: «وكيف كان ذلك؟.. أعنى ماذا يسخطك عليه اليوم»؟

قال: «لعلك تذكر «إحسان».. لقد عرفتكم بها. تعلقت بى كأنها ظلى، فسئمت وأقول لك الحق أنى خفت العاقبة.. فقد كنت أستملحها وأستعذب حديثها وأستريح إلى مجلسها، ولكن المصيبة أنها تحسب أن الملاطفة والمجاملة حب. الحق أن أمر هؤلاء البنات عجيب.. كل كلمة من الرجل — أعنى كلمة ملاطفة أو تودد — يتخذنها دليلا على الحب.. فإذا قلت لها إن ثوبها جميل، أو أن شعرها المرسل أو الرجل بديع، أو أن حذاءها حسن، أو أن ابتسامتها حلوة أو عذبة، أو أن ظل أهدابها على وجنتيها فاتن أو غير ذلك — أى كلمة ثناء تنطق بها — فما أسرع ما تؤولها بأنها صادرة عن حب وعشق وهيام وتدلّه! مصيبة يا أخى والله، يظهر أن هؤلاء الفتيات بهن ظمأ شديد إلى الحب، ويخيل إليّ أن حياتهن تجفف نفوسهن وتذويها وتؤجج فيها الشوق إلى